

عمل متصل يجري الآن في منطقة مصر القديمة لإنقاذ أهم أثر إسلامي هو جامع عمرو بن العاص الذي وضع محرابه ثمانون من صحابة الرسول وأول مسجد ينشأ في القارة الأفريقية كلها. وعلى بعد خطوات قليلة داخل حصن بابليون تقوم هيئة الآثار بمحاولة أخرى لإنقاذ واحد من أهم الآثار المسيحية، ذلك الكهف الذي عاشت فيه العائلة المقدسة ثلاثة أشهر كاملة عند قدومها إلى وادي النيل. وبين المسجد والكهف بقايا عائلته تتحدث عن عصور رائعة شهدتها هذه المنطقة التي كانت في يوم ما عاصمة مصر.

مصر العتيقة.. كانت مدخلا للأديان!

تصوير: صبري صلاح



الدخول إلى الحصن بابليون من هنا فتح عمرو بن العاص مصر



أحد المعالم الأثرية في مصر القديمة

زينب عبد المنعم

هذه اللغة الصغيرة من جنوب القاهرة حكمت مصر طوال قرون عديدة وأشرقت منها شمس المسيحية ومنها أيضا دخل الإسلام. ولم يستطع أحد أن يحدد بالضبط عمرها التاريخي وإن كانت بعض التوابيت الفرعونية التي اكتشفت بالمنطقة تشهد بأنها ربما كانت مأهولة بالسكان في العصر الفرعوني.

وتأتي الأهمية الأولى لمصر القديمة الآن من مجموع تلك الآثار العديدة التي تزخر بها المنطقة التي تمتد إلى العصور الرومانية الأولى في مصر. ويعتبر أقدم أثر بها حصن بابليون وأطلال أبراجه القديمة وكان يطلق عليه أيضا قصر الشمع الذي حير المؤرخين وعلماء الآثار.

يعمل المؤرخون على إطلاق اسم قصر الشمع على قلعة بابليون أنه كان من عادة القدماء في ذلك الوقت أن يوقدوا الشموع كل شهر في أحد أبراج الحصن في ليلة انتقال الشمس من برج إلى آخر. وقال البعض إن كلمة الشمع عرفت عن الكلمة الفطرية، كينسي، ومعناها مصر أي قصر مصر. ويقال إن الفرس هم أول من بدأوا في تشييد الحصن ثم أكمله الرومان ومازال اسم بابليون يطلق حتى الآن على بقعة تعد حوالي نصف كيلو متر تقريبا جنوب الحصن وبها ثلاث كنائس أهمها كنيسة السيدة العذراء بابليون الدرج.

على عمق عشرة أمتار تحت الأرض سرت وراءه أنفل فوق سلسلة من السفالات الخشبية المتدرجة وأما أناسل: ماذا لو وقعت الآن في الماء؟ وبعد بضعة أمتار توقف وأشار إلى مصدر الضوء القادم من بعد: من هنا فتح عمرو بن العاص مصر. أدركت أن أحدي طويلا في تلك البوابة الضخمة وجدران الحصن الحجرية العتيقة والقرن القديم والطاحونة المزينة وأخيل كيف كانت أول خطوة في مصر الإسلامية ولكني لم أملك إلا أن أصعد سرعا. وكان على أن أنقل لكم ماذا يجري الآن في جامع عمرو وماذا تفعل تلك الشركة الإنجليزية بكهف العذراء؟ وماذا حدث لمدينة بابليون وفسطاط ابن العاص أو في ماذا يحدث في مصر القديمة وأن كنت لا أدري من الذي سماها هكذا وهي تسمية حديثة بلا شك؟ فإزالت بعض مدارسها تحمل اسم الفسطاط ومازالت بعض عترة المواصلات تخطط لهذا الاسم ويجري به بين أرجاء القاهرة.



قصر سقارة الذي تال لتحت القطن من القرن السادس الميلادي

والحديث والتفسير وعلوم القرآن واللغة. ودافع
ذكرها في الألفاظ وقصدها الطلاب من أقطار شتى
حتى بلغت حلقها العلم بها ١١٠ فصول دراسية.
وكان الإمام الشافعي أحد أساتذتها. وكان إلى
جانب هذا دار حكم يجلس فيها الحاكم للنظر في
مصالح الناس. ودار قضاء يجلس فيه القاضي
للفصل في الخصومات. وكان به بناء اتخذ لحفظ مال
المسلمين يسمى بيت المال.

وجامع القسطنطين هو أول مسجد أقيم في القاهرة بل
في القارة الأفريقية كلها بصفه عبد السلام المرواني
مدير آثار منطقة جنوب القاهرة: أنه كان بسيطاً في
تخطيطه حدد موضع محرابه ثمانون من كبار صحابة
رسول الله ﷺ.

وكان عبارة عن مساحة صغيرة جدرانها من الطوب
البن وسقفها جذوع النخل. وغروش بالرومان.
وكان بعد ذلك زاماً على كل من يصل إلى حكم
مصر أن يضيف فيه جديداً حتى قام مراد باشا في
أواخر العصر المملوكي بطمعه ورجعته عندما ترامت
إليه شائعة عن وجود ذهب بجوار القبلة فقام بهدم
رواق القبلة للبحث عن أماكن الذهب. إلا أنه
فشل في العثور على شيء. ولأنه أوهم الناس أنه يقوم
بترميم المسجد وليس تخريبه أسرع في إعادة البناء مرة
أخرى فأعطا البناء وبدلاً من أن تقوم الأروقة بشكل
عربي كتخطيط المسجد القديم أقامها بطريقة غربية
عائقة وأصبحت هذه من الأخطاء المعروفة في العمارة
والبنا.

ولم تحدث أي ترميمات بالمسجد بعد ذلك حتى
انفتت وزارة الأوقاف مع شركة علام للمقاولات
على إعادة تعمير المسجد. وقامت لجنة من الأنار



صورة
الدة
القديسة
مريم
والعيسى
بن مريم

يكبه الآثار. كان بهذه المدينة منازل من طراز
طريق. وخلال الحفائر التي تمت في المنطقة في الفترة
من ٦٩ إلى ١٩٧٤ تم الكشف عن منازل
وسرايب. وأهم ماسترعى النظر في هذا
الاكتشاف كشف «بحري» يزود المدينة بالمياه العذبة
طوله حوالي ثلاثة كيلو مترات مبنية بطريقة عجيبة
عبارة عن مداميج من الطوب الأحمر في باطنها
سلسلة من أبواب النجار ومغطاه من أسفل بمجاذيل
حجرية لحايتها ونصب القناة في مستودعات مياه.
وسما تزود منازل المدينة بالمياه العذبة.
وبذلك يتق لنا من قسطنطين ابن القسطنطين
الذي كان جامعة إسلامية كبرى يدرس فيها الفقه

حصن بابليون حيث عسكرت قوات العرب للمرة
الأولى وسماها القسطنطين. وقد أسهب مؤرخو العصور
الوسطى خاصة الرحالة في وصف مدينة القسطنطين.
ذكر الضاعى أنه كان بها ٣٦٠٠ مسجد و ٨٠٠
شارع و ١٧٠ حماماً.
وما يؤسف له أنه لم يبق من مدينة القسطنطين القديم
الخواصر الإسلامية إلا هذه الأطلال. فقد حدث أن
أحرقت في القرن السادس الهجري حوفاً من استيلاء
الفرنج عليها. وعلى الرغم من اندلاع النيران في ١٤
يوماً. فإن مابق من آثارها يدل دلالة واضحة على
ما كانت عليه من حضارة وعمران.
وكن يقول الدكتور مصطفى عبد الله شحبة المدرس

وبعثر حصن بابليون هو الآثار اقام الوحيد الذي
من مخططات الرومان في مصر خاصة أنهم حكموا مصر
مدة تزيد على ستة قرون. وكان هذا الحصن هو
أقوى حصون الديار المصرية على الإطلاق. حتى
الفتح العربي. وقد ظل عمرو ابن العاص يحاصره
سبعة شهور. حتى تم عقد معاهدة بين المسلمين
والقائد الروماني سقط بعدها الحصن بين أيدي
المسلمين. ومازال هناك في مصر القديمة المدخل
الجنوبي للحصن لا سيما على عمق عشرة أمتار تحت
الأرض. وهو المكان الذي دخل منه عمرو وجنوده
و استطع أن تصل إليه عن طريق حديقة الخنف
القبلي. وأول ما تجده هناك طاحونة خشبية وفرن
ومخزن للعلل. أما الجدران فلما زالت تحمل عدداً من
المصابيح القديمة. ولكن حذار وأنت تخطو فوق
الأحساب فإليها تعمير أرض الحصن منذ إنشاء البلد
العالي وارتفاع منسوب المياه المحيطة. ولست أدري
كيف نترك هذه الآثار هذا المدخل الروماني والآثار
الإسلامي المدام طوال تلك السنوات والأمر لا يكلف
أكثر من جهاز لشق مياه الرش. على العموم ورغم
كل ذلك فالمكان يزخر كل يوم بمئات السائحين الذين
يأتون من منطقة مصر القديمة برائحتها الجذابة العتيقة
وما يحكي عن مصر القديمة عند الفتح الإسلامي
أن جاءت «حمامة» ووضعت يعضها في خيمة عمرو
بن العاص فسمي هذا المكان القسطنطين. وكان بداية
مدينة القسطنطين التي أنشأها ابن العاص والتي تحكي
عنها الدكتور سعد ماهر عميدة كلية الآثار سابقاً في
كتابها «القاهرة وأحيائها» أن عمرو بن العاص
عندما فتح مصر سنة ٢١ هجرية رأى أن يترس
حاضره الجديدة في المكان المصح الذي يقع شيا

بنك القاهرة وباريس



أرقى مستوى أداء مصرف

- فتح الاعتمادات المستندية استيراد / تصدير
- أعمال الصرف الأجنبي وفتح الحسابات بالعملة الأجنبية.
- الودائع لأجل بالعملة الأجنبية والجنيه المصري ومنح أعلى
- الأسعار للفائدة السائدة في الأسواق العالمية.
- إصدار خطابات الضمان.
- استشارات مالية.

BANQUE DU CAIRE ET DE PARIS .

١٤ شارع السراي الكبرى - جاردن سيتي - القاهرة

BACAIPAR

تلفرافياً

٣٠٣٩٦ / ٢٠٨٢٨ / تلكس ٩٣٧٢٢

التحف القبطي الذي اسسه مرفس سميكة بنشا ١٩١٠ ليجمع فيه كل الآثار والوثائق التي تساعد على كشف الستار عن تاريخ العصر المسيحي في وادي النيل . وقد نقلت إليه التحف والأدوات القبطية والمثريات والسفوف والأعدة الرخامية والبراقع واللوحات وقطع القيشاني التي كانت في منازل قديمة متداعية يملكها الأفاط . ثم نقل إلى أملاك الدولة

حيث بدأت فترة ذهبية في تاريخه . كما يقول مديره منير بسطا فضافت حجراته واضطرت الحكومة إلى إنشاء جناح جديد عام ١٩٣٧ . والجناح القديم من التحف يعاقب الآن من الصدع . وهناك مشروع لترميمه واتق عليه مجلس الدولة أخيرا ووصدت له هيئة الآثار ٥٠٠ ألف جنيه . وسوف تستعين الهيئة بشركة امريكية للقيام بأعمال الترميم هذه . وعمليات توسيع المبنى والإضاءة بعد أن أصبح التحف بحاجة إلى مساحة أكبر لعرض الآثار القبطية التي يتزايد قدومها إلى التحف نتيجة لأعمال التنقيب والاكتشافات الأثرية المتزايدة . والتي كان أحدثها تلك الآثار التي جاءت بها البعثة المونثونية من بلدة عبد الله في شال أبو سمبل والتي خصصت لها قاعة كبيرة احتلت بمخلف القطع الأثرية والمخطوطات المكتوبة باللغة القبطية الثوية .

• • • وإذا كنا نرى في سيناء مجمعا للأديان به مسجد وكنيسة ومعد فهذه ليست السابعة الأولى . والدليل على ذلك مصرنا القديمة أوكا يسبحيا العامة مصرنا العتيقة التي كانت مدخلا للأديان .



بيت المال وسط جامع عمرو أخرى مراد بك بالبحث عن الذهب

وكنيسة السيدة العذراء المعروفة بلصيرية الرخان ومعد للبهود كان أهله كنيسة قبطية اشتراها اليهود من بطريرك أيام حكم أحمد ابن طولون وهي تخضع أيضا لطرز بناء الكنائس القبطية في مصر ومن كنائس جنوب الحصن نجد كنيسة الأمير نادروس وكنيسة بابلون الدراج وكنيسة أبابكر ويوحنا . أما كنائس شال الحصن فهي كنيسة القديس أنى السفين وكنيسة الأياشودة والعذراء الدمشقية .

وتجوز هذه المجموعة الكبيرة من الكنائس بلغ

خلاف درجات من السلام الحجرية من الكنيسة الكبيرة التي بنيت بعد ذلك في العصر الإسلامي في القرن الثالث عشر الميلادي . والمعارة من الناحية الأثرية تخضع للطرز البازيليكي في المنشآت الدينية المسيحية . وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام تنتهي في الناحية الشرقية منها ببيكل مقدس .

وكما حدث في حصن بابلون عانت المعارة من مياه الرش بعد بناء السد العالي . وأغلقت تسع سنوات . وتقوم هيئة الآثار الآن مع شركة المجلزية برفع المياه الموجودة ومعالجة الجدران بمواد عازلة لمنع مرة أخرى أبوابها أمام الطراز الذين كانوا يحجون إليها من كافة أرجاء العالم .

وإذا كنا نتحدث عن الآثار القبطية في هذه المنطقة فقد تكون هي المنطقة الوحيدة في مصر والتي تضم أكثر من عشر كنائس متجاورة أثرية قديمة أعيد بناؤها في العصر الإسلامي في مختلف فتراته لاسبأ العصر الفاطمي . وقد بقي في هذه الكنائس كثير من التحف التي صنعت في العصر الإسلامي ونشهد بنظر الفن القبطي وامتزاجه من حيث الصناعة والأسلوب الفني مع الفن الإسلامي . هذه الكنائس بنى معظمها على أنقاض حصن بابلون . ول وسطها نجد أهم الكنائس الأثرية السياحية القديمة مثل كنيسة أبو سرجة التي تقع أسفلها معارة السيدة العذراء . وقد بنيت في القرن الثامن الميلادي . وكنيسة السيدة العذراء الشهيرة بالمعلقة وهي من أشهر كنائس مصر القديمة وتحفظ بكثير من التحف الأثرية القديمة وبنيت على أنقاض برج من أبراج الحصن الروماني .

غير ذلك توجد في الحصن كنيسة القديسة بربراة

والأوقاف بإعادة دراسة مشروع . د . كريزويل وكان استاذًا بيطاليا يدرس الآثار الإسلامية بأداب القاهرة ومن مؤلفاته كتاب عن الآثار الإسلامية منذ عشرين عاما . وبه رسم تخطيطي للمسجد وكيف بquam ويعاد بناؤه .

ومنذ ١٩٦٠ ومحاولات ترميم المسجد تجري حينا وتوقف طويلا . بسبب ميزانية الأوقاف واختلافات أخرى مع الشركة حول طريقة ترميمه . وأخيرا حسمت الخلافات ويجري العمل داخل المسجد ليعود إليه رونقه قبل نهاية هذا العام . ويعود إليه رواده الذين حشروه سنين طويلة بل هناك فكرة الآن يدرسها مجلس إدارة الجامع برئاسة الدكتور ابراهيم بدران رئيس جامعة القاهرة سابقا ليتحول الجامع إلى جامعة عمرو بن العاص لترس فيه المواد الدينية حول الأعمدة في الرواق المواجه لرواق القبلة كصورة أخرى للجامع الأزهر .

ولم تلتصر مصر القديمة على ماحفظه لنا العصور الروماني والإسلامي . بل عاشت عصرا ذهبيا ازدهرت فيه المسيحية . وتركت لنا تراثا قبطيا عربيا . كان هذا مادة غنية لرسالة الماجستير التي حصل عليها الدكتور مصطفى شحبة بعنوان : كنائس مصر القديمة في العصر الإسلامي . وتناول فيها قدوم العائلة المقدسة إلى منطقة مصر القديمة ضمن رحلتها إلى مصر وكيف لحقت إلى معارة أسفل حصن بابلون وهذه مازالت موجودة حتى الآن وقد رجع في دراسته إلى عديد من المراجع مثل « التنسكار القبطي » وهو مرجع ديني هام يورى قصص الاستشهاد الديني وسير القديسين . والمعارة بالقبلة محفورة في الصخرة لدخل إليها من

بنك القاهرة باركليز الدولي

CAIRO BARCLAYS INTERNATIONAL BANK S.A.E

البنك المنحصر في جميع مجالات الاستثمار وتمويل التجارة بالعملة الحرة

- طرح أسهم الشركة للاكتتاب العام .
- تقديم قروض متوسطة وقصيرة الأجل
- شراء المعادن اللازمة ، وكذلك المواد الأولية اللازمة للإنتاج .



- يمكننا أن نمدر ك :
- دراسة كاملة عن المشروع الذي ترغب الاستثمار فيه .
- مراجعة الجدوى الاقتصادية وإفادتك عن مدى نجاح المشروع .
- إيجاد شركاء أو مستثمرين معك .

• تمويل عمليات الاستيراد والتصدير بالعملة الحرة

ونحن نعتمد على خبرة موظفينا مع الخبرات المكتسبة مؤسسينا بنك القاهرة وبنك باركليز الدولي

المركز الرئيسي : ١٢ ميدان الشيخ يوسف / جاردت سيتي / القاهرة
فرع الإسكندرية : ١٠ شارع القواطم « بجوار ميدان شامبليون